القرآن والتزاوج وعلم الأجنة

بسم الله الرحمن الرحيم

علم الانسان ما لم يعلم

صدق الله العظيم

القرآن والتزاوج وعلم الأجنة

هناك أمور فى علم الأجنة ، تعتبر من البديهيات التى عرفها الإنسان الأول وتوصل إليها بالفطرة ، ولكن إذا دخلنا فى التفاصيل الدقيقة والمعلومات العلمية المفصلة لوجدنا أن الإنسان حتى عهد قريب جداً كان يتخبط فى علمه وتفسيراته وأنه قبل اختراع الميكروسكوبات المعقدة فى القرن العشرين كانت الإنسانية تعيش فى ظلمات الجهل والخطأ .

ومن هـــذا يأتى إعجاز القرآن العلمى ، فقد جاءت تفاصيل الجنس والتناسل وتكون الجنين فى القرآن فى مواضع عديدة بحيث لو جمعت فى باب واحد لخرجنا منها بمعلومات وافية ما كان يمكن أن يدركها أو يعقلها إنسان القرن السابع الذى نزل فيه القرآن . وعلى مر العصور كان الفقهاء المسلمون يجتهدون فى تفسير تلك الآيات حسب علوم عصرهم ، بل إن الأطباء العظام أمثال الرازى وابن سينا والزهراوى قد اجتهدوا فى التفسير حسب علمهم . ولكن القرآن كان سابقا لكل هؤلاء بقرون طويلة . وفى هذه العجالة القصيرة سوف نشرح بعض الحقائق العلمية التى وردت فى القرآن الكريم فى هذا المجال . .

ولكن يجب أن نشير منذ البدائية إلى أهمية معرفة الأسرار البلاغية للغة العربية التى عبر بها القرآن تعبيرا إعجازيا عن المضمون العلمى . .

(أولا) نظرية التزاوج والزوجية :

يقول الله تعالى « وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى » (النجم ٤٥) .

ويقول أيضا « ومن كل شيء خلقنا زوجين »

وفى لغة العلم هناك فارق بين التزاوج . . وبين الزوجية أو الازدواج — فالآية الأولى تتحدث عن التزاوج بين مذكر ومؤنث بمعنى التناسل لتكوين خلق جديد . . وهذه الظاهرة عامة على جميع المخلوقات الحية سواء كان إنسانا أم أم حشرة أم نباتا . . فهم جميعا يشتركون فى ظاهرة التزاوج ويخضعون لناموسها :

أما الآية الثانية فتتحدث عن ظاهرة الزوجيـــة أو الازدواج (Parity) فى طبيعة العناصر . . فكل عنصر من العناصر الموجودة فى الطبيعة فى هذا الكون يتكوين من اتحاد زوجين : هما الموجب والسالب . أو فى لغة الذرة من بروتون وإليكترون .. وإن بقاء هذا العنصر فى حالة ثبات واستقرار واكتسابه لخواصه المعروفة يتوقف على

حالة الزوجية أو الإتحاد بين الموجب والسالب ... ومن هنا كانت الآية الأولى تنص على التزاوج بين المذكر والمؤنث فى الأحياء وحدهم .. بينما الآية الثانية تنص على (من كل شىء) أى جميع عناصر الطبيعة الحية والميتة . . وقوله (زوجين) ولم يقل (ذكر وأنثى) ولم يقل (الزوجين) بإضافة الألف واللام للدلالة على الفارق بين التزاوج والزوجية

ثانيا : التزاوج فى النبات

يقول تعالى: « وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى » طه ٥٣ فالمعروف علميا أن جميع النباتات تتكون من مذكر ومؤنث .. وقد تكون أعضاء الذكورة والأنوثة فى النبات الواحد أو فى الزهرة الواحدة .

(•) اللقاح فى النبات

يقول الله تعالى « وأرسلنا الرياح لواقح» الحجر ٢٢

فقد اكتشف العلم الحديث الكثير من المعجزات الآلهية فى دور الريح فى تلقيح النباتات ... فبعض النباتات تنطلق منه الأعضاء المذكرة وتكون لها أجنحة شبيهة بأجنحة الطيور وبعضها الآخر له ما يشبه المظلة أو (الباراشوت) وتنقلها

الريح .. إلى مسافات بعيدة قد تصل إلى بضعة كيلومترات.. ثم تهبط على الزهور المؤنثة من نفس النبات والفصيلة فتلقحها

(٥) الثمرة هى الجنين فى النبات

يقول تعالى « ان الله فالق الحب والنوى » الأنعام ٦ — آية ٩٥ فالحبة أو الثمرة فى النبات هى الجنين الذى يتكون من اتحاد المذكر بالمؤنث .. وهذا الجنين قد يتكون من جبة صلبة أو نواة فاذا نزل على الأرض وأصابه الماء انفلق الغطاء الصلب وخرجت منه الجذور إلى الأرض لكى تنبت نبتة جديدة وهكذا ..

ثالثا — نطفة الذكر فى الانسان والحيوان :

— يتم التناسل فى الحيوان والإنسان فى صورة واحدة بشكل عام .

فالجنين يتكون من اتحاد حيوان منوى واحد مع بويضة واحدة ...

—وتتكون **نطفة الذكر** أى السائل المنوى من سائل لزج لايزيد حجمه عن ٢ سم^{٣} ، .. ويسبح فى هذا السائل بضعة ملايين من الحيوانات المنوية الدقيقة التى تتكون من رأس

وذيل وتتكون هذه الحيوانات فى غـدة الخصية (ويبلغ عددها فى النطفة الواحدة قرابة الثلاثمائة مليون) .

وهناك حقيقتان علميتان هامتان لم تكن أى منهما معروفة إلا فى العصر الحديث جدا . **الأولى** أن الخصية موضعها الأول فى جسم الإنسان هو فى البطن على جانبى العمود الفقرى . وقبل الولادة تنزل الخصية من البطن فى الشهر الثامن إلى كيس الخصية خارج البطن .. وفى بعض الأطفال قد يتأخر نزول الخصية بعد الولادة فيحتاج الأمر إلى عملية جراحية لانزالها إلى مكانها الطبيعى .

والحقيقة الثانية أن الحيوانات المنوية نوعان : نوع يحمل عنصر الذكورة ويرمز إليه برمز Y والآخر يحمل عنصر الأنوثة ويرمز إليه برمز X . فهذا الحيوان المنوى هو الذى يقرر نوع الجنين إن كان ذكرا أو أنثى عنـد اتحاده بالبويضة .

هذه هى بعض التفاصيل العلمية التى ذكرها القرآن عن نطفة الذكر وهذه هى الآيات التى تضمنت تلك الحقائق العلمية :-

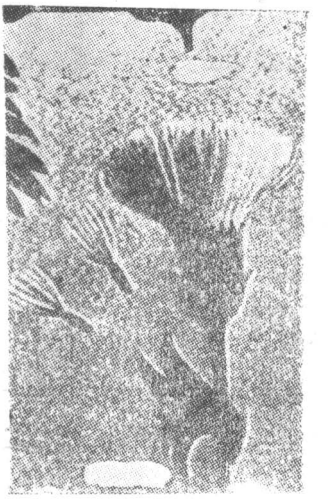

حبوب اللقاح فى أحد النباتات وقد تكونت لها
مظلة لتحملها الريح إلى أماكن بعيدة

(١) فقد جاءت كلمة النطفة فى اثنى عشر موضعا من القرآن بأوصاف مختلفة يكمل بعضها بعضا .. فمن ذلك قوله تعالى ،

« ألم يك نطفة من منى يمنى » ٧٥ القيامة آية ٢٧

ويصفها بأنها من « ماء دافق » وأنها « من ماء مهين »

فكلمة النطفة التى استعملها القرآن تعبير لغوى عن الكمية القليلة جدا (٢ سم^{٣}) .

وكلمة دافق تشير إلى تدفق الخلايا المنوية فى سباقها للوصول إلى البويضة فيقطع رحلة طويلة من المهبل إلى عنق الرحم إلى قاعدة الرحم ثم يدخل القناة المهبلية لتلقيح البويضة وقد قدرت هذه السرعة بثلاثة ملليمترات فى الدقيقة الواحدة وهذه السرعة بالقياس إلى الحجم الميكروسكوبى الدقيق للحيوان المنوى تعادل سيارة منطلقة بأقصى سرعتها ...

(٢) ويذكر القرآن موضع الخصية فى البطن فيقول تعالى « فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب و الترائب » الطارق ٧

والصلب هو العمود الفقرى والترائب هو بيت الكلية .. وهذا هو موضع الخصية فى الجنين قبل خروجه من الرحم ..

٢ — ويحدد القرآن بصفة قاطعة أن الحيوان المنوى هو الذى يقرر الذكورة أو الأنوثة فيقول تعالى : —

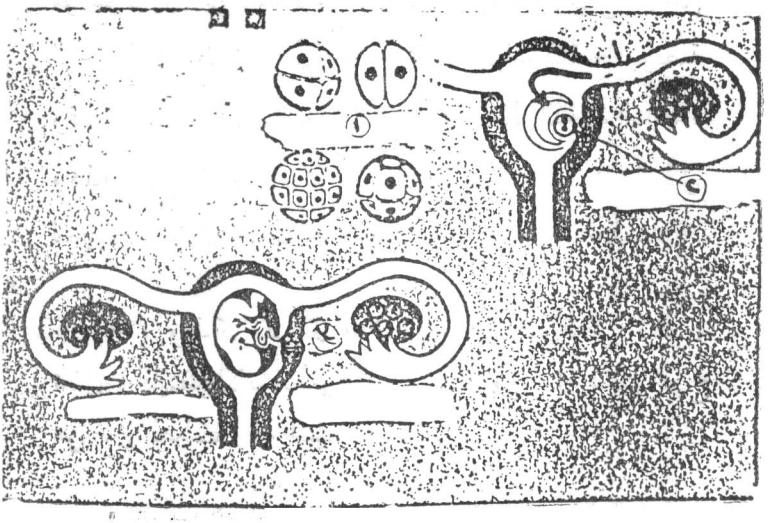

مراحل تكوين الجنين

١ — المشج .

٢ — العلقة .

٣ — القرار المكين فى الرحم .

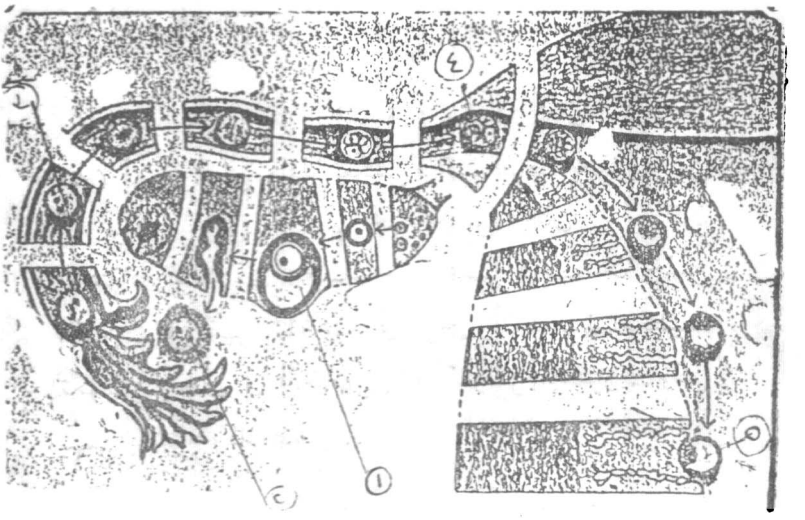

١ — البويضة بعد خروجها من البيض . .

٢ — البويضة تدخل قناة الرحم

٣ — القاء البويضة بنطفة الرجل وتكون المشج

٤ — دخول المشج إلى الرحم

٥ — تكون العلقة فى جدار الوحم وتعلقا به

« ألم يك نطفة من منى يمنى .٥ فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى » ٣٩ القيامة .

وغير خاف أن الإشارة فى قوله تعالى (فجعل منه) أى من المنى وهذا بعكس ما كان العرب يعتقدونه من أن بويضة الأنثى هى التى تحدد جنس الجنين . بل كان الاعتقاد السائد فى العالم حتى عصر قريب أن جنس الجنين . بل يظهر أثناء نموه فى الرحم وأن هناك نساء بطبيعة تكوينهن ينجبن فى أرحامهن إناثاً أكثر من الذكور .. وكن يتهمن بالشؤم وقد يطلقن ..

رابعاً : البويضة وتكوين الجنين رسمة رقم (٢)

لكى نفهم كلمات القرآن جيداً فلا بد هنا أيضاً أن نبدأ بالشرح العلمى .

فالجهاز التناسلى للأنثى يتكون ببساطة من مبيضين وكل مبيض متصل بقناة توصل البويضة التى يفرزها إلى الرحم وتسبح البويضة فى القناة باتجاه الرحم . بانتظار وصول حيوان منوى لتلقيحها .. فإذا لم يتم تلقيح البويضة فى مدة محددة فإنها تخرج مع الطمث وهكذا تتم الدورة الشهرية للمرأة .

أما إذا تلقحت البويضة (بالتقاء نطفة الرجل بنطفة المرأة) فيتكون من هذا (النطفة الأمشاج) وهى عبارة عن جنين فى أولى مراحله مكون من بويضة واحدة متحدة بحيوان منوى واحد ... فهذا المشج ينقسم إلى اثنين ثم أربعة ثم ثمانية خلايا وهكذا ويسمى علمياً (الزيجوت) وفى القرآن يسمى (المشج) رهو تعبير متناهى الدقة . وتستغرق هذه المرحلة عشرة أيام.

وينتقل المشج بعد نموه إلى الرحم حيث يتحول إلى مايشبه العلقة فيلتصق بجدار الرحم فى ناحية القاعدة فى موضع علوى وخلفى ..

ومن الجدير بالذكر هنا أن مكان العلقة فى الرحم هو مكان محدد وثابت . وبدونه لايستمر الحمل . . فلو حدث التعلق فى القناة المهبلية أو فى أسفل الرحم لأدى الأمر غالباً إلى الإجهاض . ومن هنا أطلق عليه القرآن (قرار مكين) . وهذا تفصيل آيات القرآن التى ذكرت هذه الحقائق العلمية .

١ — يقول تعالى فى سورة الإنسان «إنا خلقنا الإنسان من نطفة « أمشاج نبتليه » وكلمة الأمشاج معناها أنه يتكون من خلط عنصرين مختلفين ببعضهما .. وهى المرحلة الأولى .

٢ — ثم تأتى بعد ذلك مرحلة العلقة التى يذكرها القرآن

فى أكثر من موضع فيقول تعالى « ثم خلقنا النطفة علقة » المؤمنون آية ١٤ .

ويقول « ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى » القيامة ٣٧ ، ٣٨ .

وكلمة العلقة تعبير لم يستعمل إلا فى القرآن ولم يوصف به الجنين من قبل فى اللغة العربية أو أى لغة أخرى . وهو تعبير علمى دقيق مطابق لمرحلة التعلق إذ أن الجنين تخرج منه امتدادات تلتصق بجدار الرحم حتى لايسقط وهى أشبه بأسنان العلقة التى تمتص الدم من فوق سطح الجلد . أو بالنبتة الصغيرة التى تمتد جذورها فى الأرض . فإذا كان هذا التعلق ضعيفاً سقطت العلقة وانتهى الحمل رسمة رقم (٣) .

٣ — ويقول الله تعالى :

« ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين » المؤمنون آية ١٣ .

وهى إشارة واضحة ومحددة إلى المكان الخاص بتعلق الجنين . فكلمة (مكين) من التمكن والتحكم وكلمة (القرار) تعبير عن (المقر) الذى تستقر فيه البويضة بعد

اتحادها بالحيوان المنوى وهو كما أسلفنا مكان محدد وثابت فى قاعدة الرحم .

٤ — ويقول تعالى بعد ذلك :

« ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى» الحج آية ٥

فهذه العلقة تبدأ فى النمو والانقسام وتكبر فى تجويف الرحم. ويصف القرآن مدة الحمل بأنها (أجل مسمى) أى مدة محدودة ومعروفة . وتختلف هذه المدة فى الإنسان عنها فى الحيوان ، كما أنها تختلف بين فصائل الحيوانات ولكنها محددة فى كل فصيلة ونوع . فى الفيل عشرون شهراً وفى الإنسان عشرة أشهر قمرية أى أربعون أسبوعاً وإذا نقصت عن ذلك فقد يحتاج الجنين إلى رعاية خاصة (مثل الحضانة) حتى يكتمل ، وإذا تأخر عن هذا الأجل المحدود قد يحتاج إلى عملية قيصرية لإخراجه حتى لايموت داخل الرحم .

خامساً — تطور الجنين فى الرحم :

يقول الله تعالى فى سورة المؤمنون آية ١٤

— ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » .

ويقول فى سورة الحج آية ١٢

— « وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة . .

ويقول تعالى فى سورة الزمر آية ٦ .

— « يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق فى ظلمات ثلاث .

هذه الآيات الأربعة زاخرة بفيض من الحقائق العلميةالتى لم يكن أى منها معـــروفاً فى عصر نزول القرآن ، وقد استغرقت الإنسانية أربعة عشر قرناً من الزمان حتى توصلت إلى بعض هذه الحقائق وما تزال هناك أمور أخرى كثيرة تشملها الآيات القرآنية ولم يصل علمنا إلى تفسيرها ، وهذا هو شرح لهذه الآيات : —

١ — يذكر القرآن أن الجنين يتطور فى الرحم (خلقا من بعد خلق) وهو نفس النص الذى يستعمل فى العلم الحديث STAGES أى مراحل تطور الجنين فكل مرحلة لها توقيت معين محدود ينمو فيه جهاز جديد من أجهزة الجسم . . وتتشابه المراحل الأولى فى جميع الحيوانات . . ثم تبدأ الأجهزة الجديدة تتكون وهى التى تمـــيز حيوانا عن آخر ومرحلة عن التى تليها .

٢ — ويصف القرآن المراحل الثلاث الأولى بأنها (نطفة ثم علقة ثم مضغة) وقد تكلمنا عن النطفة ثم العلقة ونتحدث

الآن عن **المضغة** وهو الطور المسمى فى كتب العلم الحديثة (Mulbry Stage) وهى كلمة لاتينية معناها **الجنين التوتى** لأن شكل الجنين فى هذه المرحلة يكون كحبة (التوت)من حيث وجود بروزات وتجاويق على سطحها ....

والواقع أن التعبير القرآنى أدق لأن الجنين يشبه قطعة اللحم الممضوغة بالأسنان فتظهر عليها البروزات والفجوات مكان المضغ وهو وصف أقرب إلى الحقيقة . وهذه التجاويق هى التى ستكون فيما بعد أجهزة الجسم وأعضاءه

٣ — ويذكر القرآن فى وصف المضغة (من مضغة مخلقة وغير مخلقة) وتفسير ذلك أن الجنين فى أطوار نموه يكون غير متناسق فى أحجام أجزائه . فبعض الأجزاء (كالرأس) يبدو أكبر من حجمه بالنسبة إلى باقى الجسم وأهم من هذا أن بعض هذه الأعضاء يتخلق قبل الآخر بل يكون الجزء الآخر لم يتخلق بعد .. وعلى سبيل المثال فان الرأس يتكون قبل أن تخلق الأطراف كالذراعين والأرجل وهذا بلا شك إعجاز علمى فى القرآن .

٤ — ويشير القرآن إلى حقيقة تشريحية فى العلم . وهى أن النسيج العظمى فى الجنين يتكون أولا ثم يليه النسيج العضلى ثم يلى ذلك السمع والبصر .

« فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما » والمقصود

باللحم هو العضلات وهى تتكون فى مرحلة أو طور متأخر بعد النسيج العظمى . ثم يقول بعد ذلك « فجعلناه سميعا بصيرا » إشارة إلى أن السمع والبصر فى آخر المراحل ..

٥ — والعلم الحديث يقول أن جنين الانسان يمر بعدة مراحل فى خلقه . فهو يكون أولا شبيها بالأسماك ثم يصبح شبيها بالبرمائيات ثم يشبه البريات كالقرد ثم يصبح خلقاً آخر شبيها بالانسان الكامل فى المرحلة الأخيرة . . وقدنص القرآن على مراحل تخلق الجنين فذكر أنها (خلقا من بعد خلق) ثم نص على أن المرحلة الأخيرة هى خلق آخر فقال (ثم أنشأناه خلقا آخر) .

٦ — ويصف القرآن تطور الجنين فى داخل الرحم بأنه يتم (فى ظلمات ثلاث) وقد احتار المفسرون الأولون فى معرفة المقصود بهذا التعبير القرآنى وقد فسرها بعضهم بأنها ظلمة الرحم ثم ظلمة الحياة ثم ظلمة القبر . . وهذا بعيد جدا عن الآية لأن القصد منها هو مرحلة داخل الرحم فقط . .

ومن علم التشريح الحديث نستطيع أن نقول أن المقصود بها الأغشية الثلاثة التى اكتشف العلم الحديث أنها تحيط بالجنين أثناء مراحل نموه وهى :—

Amnion, Chorion, Allantois

وهو أقرب إلى النص القرآنى .

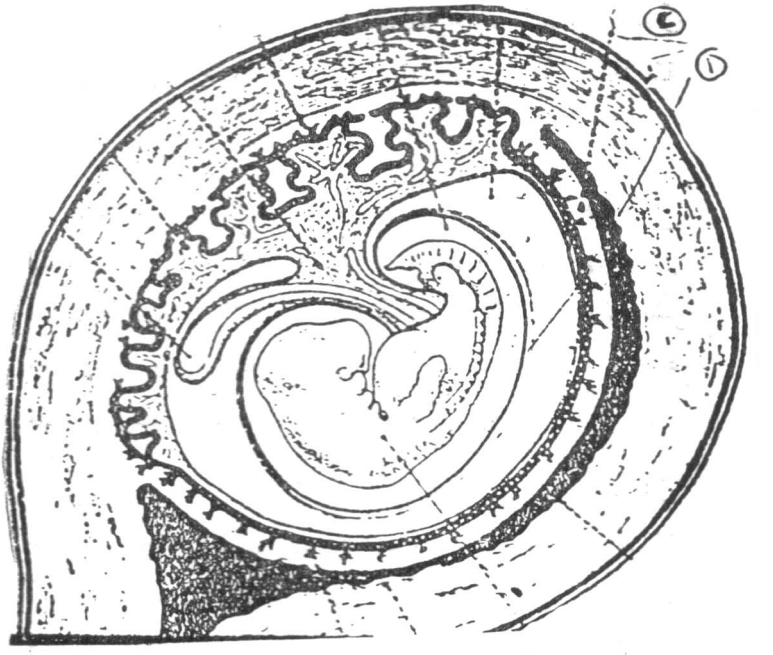

الظلمات الثلاث :

أو الأغشية المحيطة بالجنين أثناء نموه .

سادساً :

وقبل أن نختتم هذا البحث يجب الإشارة إلى حقيقة هامة اعتقد كثير من العلماء أن هناك تناقضا فيها بين القرآن والعلم .

الحقيقة العلمية تقول : أنه تم اكتشاف طريقة علمية حديثة لمعرفة نوع الجنين فى بطن أمه قبل ولادته إن كان

ذكرا أم أنثى ، وذلك عن طريق فحص مخبرى للسائل الأمنيوتى Amniotic Fluid المحيط بالجنين وقد تطورت هذه الطريقة وأمكن ذلك عن طريق فحص لعاب الأم .

ويعتقد بعض الفقهاء المسلمين أن هذا أمر يتعارض مع القرآن الذى يذكر إن معرفة نوع الجنين فى الرحم هو من أمور الغيب التى لايعلمها إلا الله تعالى ولا يمكن لأى بشر معرفتها ، وهم يحتجون فى هذا بقوله تعالى : « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو » الأنعام ٦ آية ٥٠ .

وقوله تعالى : « وما كان الله ليطلعكم على الغيب » آل عمران ١٩٠٧ — فيربطون بين هذا وما جاء فى سورة لقمان آية ٣٤ . « ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيب ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير » .

— فقد فسر بعض الفقهاء قوله تعالى : « ويعلم ما فى الأرحام » (أنه معرفة أن كان ذكرا أم أنثى . وهذا هو الخطأ الأول لأن الآية لم تنص على ناحية الذكوره أو الأنوثة ولكنها معرفة مطلقة فقد تكون معرفة الله تعالى بمستقبل هذا الجنين وبأخلاقه وطباعه وسلوكه ومصيره عندما يصبح إنسانا كاملا . وهو أمر لايعلمه إلا الله .

— كذلك ربطوا بين معنيين وردا فى سورتين مختلفتين

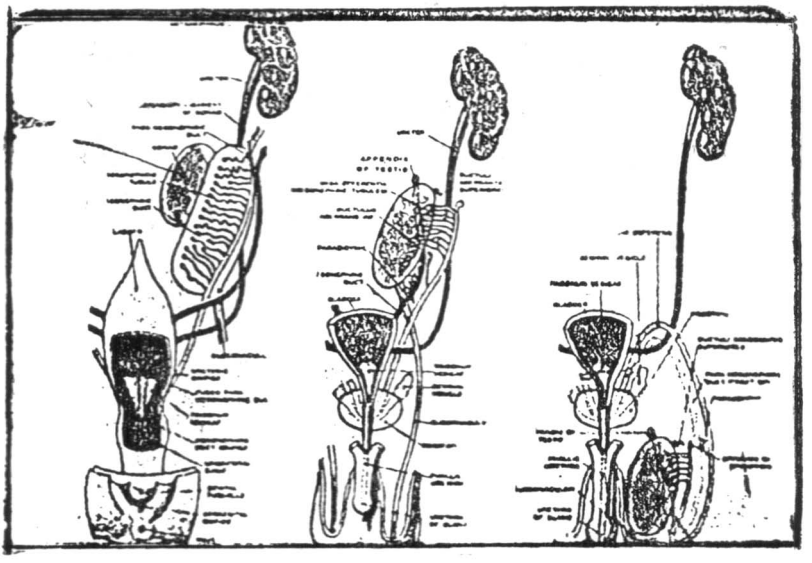

رسمة تبين مراحل نزول الخصية فى الجنين من مكانها الأول فى البطن إلى مقرها الطبيعى خارج البطن قبل الولادة .

وفى موضوعين مختلفين . الأول فى سورة الأنعام بقوله تعالى « لا يعلمها إلا هو » والثانى فى سورة لقمان بقوله تعالى « ويعلم ما فى الأرحام » وفسروا ذلك بأنه لا يمكن للبشر أن يعرف نوع الجنين فى بطن أمه وهذا خطأ فى التفسير وتحميل للآيات أكثر مما تحتمل .

وقد لزم التنويه بهذه الحقيقة الهامة لأن كتب الدين التى تدرس فى مدارس الأطفال تنص على أن مفاتح الغيب خمسة منها معرفة نوع الجنين فى بطن أمه ولا يمكن البشر أن يعرفها والواجب علينا إصلاح هذه الفقرة فى كتب الدين لأن الخطأ فى تفسيرنا وليس فى الآية نفسها .